No 4A العدد 4A
2026 آب Aug 2026
مجلة ساوة للدراسات الانسانية
Sawah Journal of Humanities
E-ISSN 3106 - 8324 P-ISSN 3106 - 8316
مجلة محكمة تصدر عن جامعة ساوة الاهلية

التأويل الديني عند القرائين واثره في تشكيل الهوية العقدية : دراسة تحليلية نقدية

م.د. بلال محمد عباس مسهر
م.د. نور الهدى رشيد خليفة جاسم
جامعة سامراء/ كلية العلوم الإسلامية
bilal.m.abas@uofallujah.edu.iq

الملخص:
يتناول هذا البحث الموسوم بـ (التأويل الديني عند القرائين وأثره في تشكيل الهوية العقدية: دراسة تحليلية نقدية) دراسة أحد أبرز الاتجاهات الفكرية في اليهودية، من خلال تحليل المنهج التأويلي الذي اعتمده القراؤون في فهم النصوص الدينية، وبيان أثره في بناء منظومتهم العقدية وتميزها عن اليهودية الربانية، وقد سعى البحث إلى الكشف عن العلاقة بين التأويل الديني والهوية العقدية، وبيان مدى إسهام قواعد التأويل ومصادر التلقي في تشكيل التصورات العقدية للقرائين، واعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي في عرض الأسس الفكرية للتأويل عند القرائين، مع الإفادة من المنهج النقدي في تقويم نتائج هذا التأويل في ضوء العقيدة الإسلامية، وذلك من خلال دراسة مفهوم التأويل، ومصادره، وأثره في قضايا التوحيد، والصفات الإلهية، والنبوة، والوحي، ومصادر التلقي، والسلطة الدينية، وصولًا إلى بيان دوره في بناء الهوية العقدية للجماعة القرائية، وتوصل البحث إلى أن التأويل الديني عند القرائين لم يكن مجرد وسيلة لتفسير النصوص، وانما مثّل منهجًا معرفيًا متكاملًا أسهم في إعادة تشكيل البناء العقدي للجماعة، من خلال اعتماد التوراة المكتوبة مصدرًا أعلى للعقيدة والتشريع، ورفض التوراة الشفوية بوصفها مصدرًا ملزمًا، الأمر الذي أدى إلى نشوء هوية عقدية مستقلة عن اليهودية الربانية، كما أظهرت الدراسة أن اختلاف قواعد التأويل ومصادر الاستدلال كان العامل الرئيس في تباين التصورات العقدية بين الاتجاهين، وانتهى البحث إلى أن سلامة البناء العقدي ترتبط ارتباطًا وثيقًا بسلامة مصادر التلقي وضبط قواعد التأويل، وأن المنهج الإسلامي يمتاز بتكامله في الجمع بين النص الصحيح والعقل السليم، بما يحقق التوازن في فهم النصوص وبناء العقيدة، ويحد من الانحرافات التي قد تنشأ عن التوسع في التأويل أو الاقتصار على مصدر واحد للتلقي.

الكلمات المفتاحية :التأويل الديني، القراؤون، الهوية العقدية، اليهودية الربانية، التوراة الشفوية، مصادر التلقي، العقيدة الإسلامية.

Religious interpretation among the Karaites and its impact on shaping doctrinal identity: a critical analytical study

Dr. Bilal Muhammad Abbas Musher
Dr. Noor Al-Huda Rashid Khalifa Jassim

Abstract:
This research, entitled “Religious Interpretation among the Karaites and its Impact on Shaping Doctrinal Identity: A Critical Analytical Study,” examines one of the most prominent intellectual trends in Judaism, through an analysis of the interpretive method adopted by the Karaites in understanding religious texts, and demonstrating its impact on building their doctrinal system and distinguishing it from Rabbinic Judaism. The research sought to uncover the relationship between religious interpretation and doctrinal identity, and to demonstrate the extent to which the rules of interpretation and sources of reception contributed to shaping the doctrinal perceptions of the Karaites. The research adopted the descriptive analytical method in presenting the intellectual foundations of interpretation among the Karaites, while benefiting from the critical method in evaluating the results of this interpretation in light of Islamic doctrine. This was done through studying the concept of interpretation, its

sources, and its impact on issues of monotheism, divine attributes, prophethood, revelation, sources of reception, and religious authority, leading to demonstrating its role in building the doctrinal identity of the Karaite community. The research concluded that religious interpretation among the Karaites was not merely a means of interpreting texts, but rather represented an integrated epistemological method that contributed to reshaping the doctrinal structure of the community, through adopting the written Torah as the supreme source of doctrine and legislation, and rejecting the oral Torah as a binding source, which led to the emergence of a doctrinal identity independent of Rabbinic Judaism. The study also showed that differing rules of interpretation and sources of evidence were the primary factors in the divergence of doctrinal conceptions between the two schools. The research concluded that the soundness of the doctrinal framework is closely linked to the soundness of the sources of knowledge and the proper application of rules of interpretation. Furthermore, the Islamic approach is distinguished by its integration of authentic texts and sound reasoning, thus achieving balance in understanding texts and constructing doctrine, and limiting deviations that may arise from excessive interpretation or reliance on a single source of knowledge.

Keywords: Religious interpretation, Karaites, doctrinal identity, Rabbinic Judaism, Oral Torah, sources of knowledge, Islamic doctrine.

المقدمة

ان التأويل الديني من أبرز القضايا التي شغلت الفكر الديني عبر مختلف الحضارات والديانات، لما له من أثر بالغ في فهم النصوص المقدسة واستنباط دلالاتها، ومن ثمّ في بناء التصورات العقدية وصياغة المرجعيات الفكرية للمجتمعات الدينية، فالنص الديني لا ينتج آثاره العقدية والتشريعية بمجرد وجوده، وإنما من خلال الآليات التأويلية التي يعتمدها المتلقون في قراءته وفهمه، الأمر الذي جعل التأويل عنصرًا حاسمًا في تشكيل المدارس الدينية والاتجاهات العقدية، وفي رسم حدود الاتفاق والاختلاف بينها، ومن بين الفرق اليهودية التي برزت بخصوصية منهجها التأويلي طائفة القرائين، التي ظهرت في القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، واتخذت من العودة إلى النص المكتوب للتوراة أساسًا لمرجعيتها الدينية، رافضةً السلطة التشريعية للتلمود والتقاليد الشفوية التي تبنّاها اليهود الربانيون. وقد أسهم هذا الموقف في تأسيس منهج تأويلي مستقل، يقوم على الاحتكام إلى ظاهر النص، والاستفادة من الدلالة اللغوية والعقل في فهمه، وهو ما انعكس بصورة مباشرة على بنية معتقداتهم، وأحكامهم الدينية، وتميّز هويتهم العقدية عن غيرهم من الطوائف اليهودية.وتنبع أهمية دراسة التأويل الديني عند القرائين من كونه يمثل نموذجًا واضحًا للعلاقة الوثيقة بين منهج فهم النصوص الدينية وبين تكوين الهوية العقدية، إذ إن اختلاف المرجعية التأويلية يؤدي بالضرورة إلى اختلاف التصورات العقدية، وإعادة تشكيل البنية الفكرية للجماعة الدينية. ومن هنا فإن دراسة هذا المنهج لا تقتصر على الكشف عن أصوله الفكرية وقواعده المعرفية، بل تمتد إلى تحليل آثاره في بناء المنظومة العقدية للقرائين، وبيان مدى اتساقها مع منطلقاتها التأويلية، فضلًا عن تقويمها في ضوء المنهج العقدي الإسلامي.

وتزداد أهمية هذا الموضوع في ظل تنامي الدراسات المعاصرة التي تعنى بمناهج التأويل وعلاقتها بإنتاج المعنى الديني، وبناء الهوية، وإعادة تشكيل المرجعيات الفكرية، إذ إن كثيرًا من الدراسات تناولت القرائين من منظور تاريخي أو فقهي، في حين ظل الجانب المتعلق بأثر التأويل في بناء الهوية العقدية بحاجة إلى دراسة مستقلة تجمع بين التحليل والنقد، وتربط بين النظرية التأويلية ونتائجها العقدية.

وتتمثل مشكلة البحث في بيان الكيفية التي أسهم بها المنهج التأويلي عند القرائين في بناء هويتهم العقدية، والكشف عن الأسس الفكرية التي انطلق منها هذا المنهج، وتحليل أثره في تشكيل أبرز القضايا العقدية لديهم، مع تقويم تلك الأسس والنتائج في ضوء أصول العقيدة الإسلامية.

وينطلق البحث من جملة من الأسئلة الرئيسة، من أهمها: ما المقصود بالتأويل الديني عند القرائين؟ وما المرجعيات الفكرية التي أسهمت في بناء منهجهم التأويلي؟ وكيف انعكس هذا المنهج على تشكيل هويتهم العقدية؟ وما أبرز القضايا العقدية التي تأثرت به؟ وإلى أي مدى تتفق مرتكزاته ونتائجه مع الضوابط الإسلامية في فهم النصوص الدينية وتأويلها؟

ويهدف البحث إلى التعريف بالمنهج التأويلي عند القرائين، والكشف عن أصوله الفكرية والمعرفية، وتحليل أثره في بناء الهوية العقدية لهذه الطائفة، مع بيان العلاقة بين التأويل والنظام العقدي، وتقويم هذا المنهج ونتائجه في ضوء العقيدة الإسلامية، بما يسهم في إثراء الدراسات المقارنة في مجال العقائد والأديان.

واعتمد البحث المنهج الاستقرائي في تتبع النصوص والمصادر المتعلقة بالفكر القرائي، والمنهج التحليلي في دراسة الأسس التأويلية وآثارها العقدية، والمنهج النقدي في تقويم تلك الأسس والنتائج في ضوء أصول العقيدة الإسلامية، مع الاستفادة من المنهج المقارن عند الحاجة لإبراز أوجه الاتفاق والاختلاف بين القرائين واليهود الربانيين.

وقد اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى ثلاثة مباحث؛ تناول المبحث الأول التأصيل المفاهيمي والفكري للتأويل عند القرائين، وخصص المبحث الثاني لدراسة أثر التأويل في بناء الهوية العقدية لديهم، بينما عُني المبحث الثالث بالدراسة النقدية لمنهجهم التأويلي في ضوء العقيدة الإسلامية، ثم خُتم البحث بأبرز النتائج والتوصيات.

أولًا: مشكلة البحث

تتمثل مشكلة البحث في أن التأويل الديني عند القرائين لم يكن مجرد وسيلة لفهم النصوص المقدسة، بل أصبح أداة لإعادة بناء المنظومة العقدية وتحديد معالم الهوية الدينية لهذه الطائفة، في ظل رفضها للسلطة التشريعية للتلمود واعتمادها النص المكتوب مرجعًا وحيدًا. وعلى الرغم من تناول عدد من الدراسات تاريخ القرائين أو آرائهم العقدية، فإنها لم تُفرد دراسة مستقلة لتحليل العلاقة بين منهجهم التأويلي وبناء هويتهم العقدية من منظور نقدي مقارن، مما يبرز الحاجة إلى دراسة تكشف الأسس المعرفية لهذا المنهج، وآثاره العقدية، وتقويمه في ضوء العقيدة الإسلامية.

ثانيًا: أهمية البحث: تكمن أهمية البحث في عدة جوانب، من أبرزها:

١. إبراز دور التأويل الديني في تشكيل الهوية العقدية للجماعات الدينية .
٢. دراسة إحدى الفرق اليهودية التي قلّ تناولها في الدراسات العقدية العربية .
٣. الكشف عن العلاقة بين منهج التأويل والنتائج العقدية المترتبة عليه .
٤. تقديم دراسة نقدية لمنهج القرائين في ضوء أصول العقيدة الإسلامية .
٥. الإفادة من نتائج البحث في الدراسات المعاصرة المتعلقة بالتأويل والهوية الدينية .

ثالثًا: أهداف البحث

يسعى البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

- التعريف بالقرائين ومنهجهم في التأويل الديني .
- بيان الأسس الفكرية والمعرفية التي يقوم عليها التأويل عند القرائين .
- تحليل أثر التأويل في بناء الهوية العقدية لهذه الطائفة .
- الكشف عن العلاقة بين التأويل والتصورات العقدية لدى القرائين .

المبحث الأول: التأصيل المفاهيمي والفكري للتأويل عند القرائين

المطلب الأول : القراؤون: النشأة والأسس الفكرية

أولًا: التعريف بالقرائين

يطلق مصطلح القرائين (Karaites) على إحدى الفرق اليهودية التي ظهرت في العراق خلال القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، واتخذت من النص المكتوب للعهد القديم، ولا سيما أسفار موسى الخمسة،

المصدر الوحيد للتشريع والعقيدة، رافضةً الاعتراف بالتوراة الشفوية التي يمثلها التلمود وما تفرع عنه من اجتهادات الحاخامات(شراينر ، ١٨٩٥م، ص ١٣٠) وقد اشتق اسمهم من الكلمة العبرية "قرا" (קרא) التي تعني "قرأ"، للدلالة على اعتمادهم القراءة المباشرة للنص المقدس دون وساطة المؤسسة الحاخامية أو الالتزام بالتقاليد الشفوية، ويمثل هذا التوجه تحولًا مهمًا في الفكر اليهودي؛ إذ قام على إعادة الاعتبار للنص المكتوب بوصفه المرجعية العليا في الاعتقاد والتشريع، الأمر الذي أدى إلى إعادة النظر في كثير من الأحكام والمفاهيم التي تبناها اليهود الربانيون، وأسهم في تكوين مدرسة فكرية مستقلة ذات منهج خاص في فهم النصوص وتأويلها(قاسم، د:ت، ص.٢٤)

ثانيًا: نشأة الحركة القرائية

يرجع الباحثون نشأة الحركة القرائية إلى القرن الثامن الميلادي، حين برز عنان بن داود بوصفه الشخصية المؤسسة لهذا الاتجاه، بعد خلافه مع المؤسسة الدينية اليهودية في بغداد حول زعامة الجالية اليهودية(رول ، ١٨٧٠م، ص ٢) ومع أن الدراسات الحديثة تشير إلى وجود تيارات سابقة كانت تدعو إلى الاكتفاء بالنص المكتوب، فإن عنان بن داود يعد أول من بلور هذه الاتجاهات في إطار فكري متماسك، وأسهم في تحويلها إلى حركة دينية ذات معالم واضحة (محمد ،١٩٩٣ ص ٣) وقد ساعدت البيئة الفكرية التي شهدها العصر العباسي، بما اتسمت به من نشاط علمي وحوارات دينية وفلسفية، على نمو الفكر القرائي، إذ تأثر القراؤون بأساليب الجدل العقلي، وحرية البحث، ومنهج الاستدلال اللغوي، فانعكس ذلك على طريقتهم في تفسير النصوص الدينية (حسن، د:ت، ص٢)

ثالثًا: الأسس الفكرية للقرائين:يقوم الفكر القرائي على مجموعة من المرتكزات، من أهمها:

١.حصر المرجعية الدينية في النص المكتوب، واعتبار التوراة المصدر الأعلى للعقيدة والتشريع .

٢.رفض حجية التلمود وما تضمنه من تفسيرات وأحكام، وعدّه اجتهادًا بشريًا لا يرقى إلى منزلة الوحي .

٣.إقرار دور العقل في فهم النصوص واستنباط الأحكام، مع عدم إضفاء العصمة على اجتهادات العلماء .

٤.الاعتماد على الدلالة اللغوية والسياق في تفسير النصوص، وإعطاء أهمية كبيرة للغة العبرية وقواعدها .

٥.التأكيد على المسؤولية الفردية في قراءة النص وفهمه، وهو ما قلل من سلطة المؤسسة الدينية مقارنة باليهودية الربانية (أحمد، ١٩٩٨ م، ص٢٢٨)

وقد أسهمت هذه المبادئ في بناء منهج تأويلي متميز، انعكس أثره في مختلف القضايا العقدية والتشريعية، وأصبح أحد أبرز الخصائص التي تميز القرائين عن غيرهم من الفرق اليهودية (همو، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ص١١١)

رابعًا: مبادئ القرائين ومعتقداتهم وأهم شخصياتهم :من أهم مبادئهم التي يؤمنون بها :

- قرب التقويم الق القرائي من الإسلامي ولا سيما في الاعتماد على الحساب القمري.
- الالتزام بالمعنى الحرفي ورفض التأويل في تفسير النص.
- التأثر بالمعتزلة في الاعتماد على العقل.
- التأثر بالموقف الإسلامي من المسيح (عليه السلام) وقبولِ كونِهِ مصلحا لشريعة موسى (عليه السلام)
- الامتناع عن شرب الخمور.
- الاخذ بمصادر التشريع في الإسلام وترجع بعض المصادر هذا التأثير إلى تأثر عنان بن داود بالإمام أبي حنيفة ورفض الاخذ بالتلمود وبالروايات الشفوية.
- العداء للصهيونية الحديثة لاستيلاء الحاخاميين على المقدسات
- لا يؤمنون إلا بالكتاب المقدس فقط بما فيه من أسفار تاريخية، وأسفار أنبياء
- لا يؤمنون بالروايات الشفهية التي تسمى بالمشنا والجمارا (التلمود)
- يؤمنون بيوم الدين وما فيه من البعث والنشور
- يؤمنون بالقبلة المكَّرمة التي موضعها بيت المقدس
- ينكرون جميع القوانين والأحكام التي جاء بها الربانيون(الصوراني ،٢٠١٩ ص ١١٢؛ عبد العال، ١٩٨٩م، ص ٤٩)

أهم شخصياتهم:

- بنيامين النهوندي .
- دانيال القومسي .
- يهوذا هداسي .
- هارون بن إيليا .
- إيليا باشيتشي

وقد تنوعت مؤلفات هؤلاء بين التفسير، والفقه، والعقيدة، وأصول التأويل، مما أدى إلى نضج المدرسة القرائية وامتداد تأثيرها في عدد من المجتمعات اليهودية في العراق وفلسطين ومصر وبلاد الشام ثم أوروبا الشرقية (عرفان، د:ت ، ص٩٥)

المطلب الثاني: منهج التأويل عند القرائين في ضوء نصوصهم الأصلية

أولًا: مركزية النص المكتوب في المنهج التأويلي

يقوم المنهج التأويلي عند القرائين على أصلٍ جوهري يتمثل في الاعتقاد بأن الكتاب المقدس هو المصدر الوحيد الملزم للعقيدة والشريعة، وأن فهم النصوص الدينية ينبغي أن يستند إلى ألفاظها وسياقاتها، بعيدًا عن سلطة التقاليد الشفوية التي أقرها اليهود الربانيون، وقد شكل هذا الأصل الأساس الذي انطلقت منه المدرسة القرائية في بناء رؤيتها العقدية والتشريعية، حتى أصبح السمة المميزة لها عبر تاريخها، ويعد يهوذا هداسي (١١٦٧م) من أبرز منظري الفكر القرائي، وقد عرض في كتابه إشكول هكوفر أصول العقيدة القرائية، وجعل من صدق توراة موسى ووجوب الالتزام بها، وضرورة معرفة لغة الكتاب المقدس، من أصول الإيمان التي لا يقوم الدين إلا بها، وقد بيّن المحققون المعاصرون للكتاب أن هداسي صاغ أول عرض منهجي متكامل للعقيدة القرائية، وجعل النص الكتابي مركز النظام العقدي والتأويلي، يفيد هداسي في عرضه لأصول الإيمان أن شريعة موسى هي الشريعة الإلهية الحق، وأن معرفة لغة الكتاب المقدس واجب ديني؛ لأن فهم كلام الله لا يتحقق إلا بفهم ألفاظه كما نزلت، ويجعل هذا الأصل أساسًا لفهم بقية التعاليم الدينية ، يكشف هذا النص أن القرائين لم ينظروا إلى اللغة العبرية على أنها مجرد وسيلة للتخاطب، وإنما اعتبروها أداةً لفهم الوحي الإلهي، ولذلك ربطوا بين سلامة الاعتقاد وسلامة فهم النص، ويلاحظ أن هداسي لم يكتف بإثبات حجية التوراة، وانما ربطها بضرورة العودة إلى النص الأصلي، وهو ما يعني أن التأويل عند القرائين يبدأ من التحليل اللغوي للنص قبل الرجوع إلى أي تفسير خارجي ، كما يدل هذا المبدأ على أن المرجعية العقدية انتقلت عند القرائين من سلطة الحاخام إلى سلطة النص؛ فالمفسر لا يملك إنشاء معنى جديد، وإنما يلتزم باستخراج الدلالة التي يحتملها النص وفق قوانين اللغة والسياق. ومن هنا أصبح التأويل وسيلةً للحفاظ على نقاء العقيدة من وجهة نظرهم، لا أداةً لإنتاج معانٍ منفصلة عن النص، ومن الناحية العقدية، أسهم هذا الأصل في تكوين هوية دينية مستقلة؛ إذ جعل القرائين يختلفون مع اليهود الربانيين في مصدر المعرفة الدينية، فبينما جعل الربانيون التوراة الشفوية مفسرًا ملزمًا للنص المكتوب، رأى القراؤون أن النص يفسر بعضه بعضًا، وأن الاحتكام النهائي يجب أن يكون للكتاب المقدس وحده، وهو ما انعكس على كثير من المسائل العقدية والتشريعية (الهلالي، ٢٠١٤، ص١٦)

ثانيًا: رفض التوراة الشفوية وأثره في التأويل

من أهم الأسس التي بني عليها المنهج التأويلي عند القرائين رفضهم الاعتراف بالتوراة الشفوية مصدرًا ملزمًا للتشريع، وعدُّهم إياها نتاجًا بشريًا لا يرقى إلى منزلة الوحي. ولذلك دعا **عنان بن داود** ومن جاء بعده إلى إعادة قراءة النصوص الكتابية قراءة مباشرة، دون التقيد بما ورد في المشناة أو التلمود، وقد أصبح هذا المبدأ أحد أبرز معالم الفكر القرائي، حتى إن الباحثين يعدّونه الفارق الجوهري بين القرائية واليهودية الربانية، لأن جميع قواعد التأويل اللاحقة تأسست عليه، كما يصف الباحثون إشكول هكوفر بأنه موسوعة قرائية تجمع العقيدة، والتفسير، وقواعد التأويل، مع الدفاع المستمر عن استقلال الفهم القرائي للنص في مواجهة التفسير الرباني(الهلالي، ٢٠١٤، ص١٦)

ثالثًا: المنهج اللغوي في تأويل النصوص الدينية

لم يقتصر المنهج التأويلي عند القرائين على الاقتصار على التوراة المكتوبة، بل اعتمد اعتمادًا كبيرًا على التحليل اللغوي للنص العبري، وعدَّه الوسيلة الأساسية للكشف عن مراد الوحي. وانطلاقًا من هذا

التصور، رأى علماء القرائين أن النص المقدس يمتلك من الوضوح والانسجام ما يجعله قادرًا على تفسير نفسه بنفسه متى روعيت قواعد اللغة والسياق، ولذلك أولوا عناية خاصة بالنحو العبري، والصرف، والدلالة، والبلاغة، وعدّوا هذه العلوم أدواتٍ لازمة للمفسر، وقد ظهر هذا الاتجاه بوضوح في مؤلفات هارون بن إيليا، ولا سيما في كتابه (تاج التوراة) ، الذي يعد من أهم التفاسير القرائية على أسفار موسى الخمسة، حيث جعل تفسير النص قائمًا على تحليل ألفاظه وتراكيبه، مع مراجعة آراء المفسرين السابقين ونقدها في ضوء الدلالة اللغوية، مبينًا الفروق المنهجية بين التفسير القرائي والتفسير الرباني(سيمي، ١٩٩٢م، ص ١٥)

رابعًا: دور العقل في المنهج التأويلي عند القرائين

لم ينظر القراؤون إلى العقل بوصفه مصدرًا مستقلًا للوحي، وإنما عدّوه أداةً لفهم النص الإلهي والكشف عن مقاصده، ولذلك جمع منهجهم التأويلي بين سلطة النص المكتوب وفاعلية العقل، فالنص هو الأصل الذي تُستمد منه الأحكام، والعقل هو الوسيلة التي يفهم بها النص ويستنبط منها المراد الإلهي. ومن ثم رفضوا الجمود على ظواهر الألفاظ إذا تعارضت مع الدلالة اللغوية أو مع المقاصد الكلية التي يدل عليها الكتاب المقدس(القواسمة، ٢٠٠٩، ص٥١٧)

خامسًا: ضوابط التأويل عند القرائين :لم يكن التأويل عند القرائين عملية مفتوحة بلا قيود، بل وضعوا له مجموعة من الضوابط المنهجية، من أهمها:

١. تقديم ظاهر النص ما لم توجد قرينة لغوية أو سياقية معتبرة تصرفه إلى معنى آخر .
٢. تفسير النصوص بعضها ببعض، وعدم الفصل بين أجزاء الكتاب المقدس .
٣. الالتزام بقواعد اللغة العبرية في بيان الدلالات .
٤. عدم الاحتجاج بالتقاليد الشفوية بوصفها دليلًا ملزمًا .
٥. مراعاة الحكمة والمقصد العام للشريعة عند تعدد الاحتمالات التفسيرية .

وقد أسهمت هذه الضوابط في إيجاد منهج تأويلي متماسك، حافظ على خصوصية الفكر القرائي، وفي الوقت نفسه ميّزه عن المنهج الرباني القائم على مركزية التلمود (أبو زهرة، د:ت ، ص ١١٩)

المطلب الثالث : المرجعيات المعرفية والمنهجية للتأويل عند القرائين

أولًا: مرجعية النص المقدس (التوراة المكتوبة)

النص المقدس عند القرائين يعد الركيزة الأولى التي قام عليها المنهج التأويلي عند القرائين، إذ انطلقوا من مبدأ أن التوراة المكتوبة هي المصدر الإلهي الوحيد الملزم في العقيدة والشريعة، وأن جميع الأحكام والتصورات الدينية يجب أن تستند إليها مباشرة دون وساطة التقاليد الشفوية، ولذلك رفض القراؤون أن تكون المشناة أو التلمود مصدرًا تشريعيًا مساويًا للكتاب المقدس، وعدّوا أن ما ورد فيهما لا يكتسب الحجية إلا إذا وافق النص الكتابي صراحة، وهو ما جعل العلاقة بالنص علاقة مباشرة لا تتوسطها سلطة دينية تحتكر تفسيره (فايدا ، ١٩٧٢م، ص٨٥)

ثانيًا: المرجعية اللغوية وأثرها في بناء المنهج التأويلي

احتلت اللغة العبرية مكانة محورية في الفكر القرائي، إذ نظر إليها علماء القرائين بوصفها المفتاح الأساس لفهم الوحي الإلهي، وعدّوا الإخلال بدلالات الألفاظ أو قواعدها سببًا رئيسًا في وقوع كثير من الأخطاء التفسيرية التي نسبوها إلى المدرسة الربانية، وان العودة إلى النص العبري، وفهم تراكيبه وألفاظه وفق أصولها اللغوية، أصبحت شرطًا لازمًا لصحة التأويل، ومقومًا أساسيًا في بناء المعرفة الدينية، وقد كان لهذا الاتجاه أثر بالغ في ازدهار الدراسات اللغوية عند القرائين، فبرز عدد من علمائهم في ميادين النحو، والصرف، والمعجم، والتفسير، وكان من أشهرهم: يَافِث بن علي، وهارون بن يوسف، وهارون بن إيليا، الذين أولوا عناية كبيرة بالتحليل اللغوي للنصوص الكتابية، وعدّوا أن فهم النص لا يتحقق إلا بفهم دلالاته الأصلية، وسياقه، وأسلوبه البياني(الهواري: ١٩٩٤ م، ص ١٤)

ثالثاً : موقف القرائين من التراث الرباني وأثره في المنهج التأويلي

مثل موقف القرائين من التراث الرباني نقطة التحول الرئيسة في تكوين منهجهم التأويلي، إذ لم يكن الخلاف بينهم وبين اليهودية الربانية مقتصرًا على بعض الأحكام الفقهية، وانما امتد إلى تحديد مصدر السلطة الدينية ومعيار الاحتجاج بالنصوص، فقد رفض القراؤون الاعتقاد بأن المشناة والتلمود يمثلان

وحيًا إلهيًا أو مصدرًا تشريعيًا ملزمًا، ورأوا أنهما نتاج للاجتهاد البشري، ومن ثم لا يكتسبان الحجية إلا بقدر موافقتهما للنصوص الواردة في التوراة المكتوبة، وقد تأسس هذا الموقف منذ البدايات الأولى للحركة القرائية مع عنان بن داود، الذي دعا إلى العودة إلى النص الإلهي، وإلغاء الاحتكار الذي مارسته المؤسسة الحاخامية في تفسير الشريعة، ثم تطور هذا الاتجاه في مؤلفات علماء القرائين، ولا سيما يهوذا هداسي وهارون بن إيليا وإيليا باشيتشي، الذين أكدوا أن وظيفة المفسر لا تتمثل في تقليد أقوال السابقين، وإنما في إعادة النظر في النصوص وفق أصول اللغة والعقل، مع الالتزام بظاهر الكتاب المقدس وما يدل عليه سياقه(عبد اللطيف، ١٩٨٠ ، ص٣٨٩)، ولم يكن رفض التراث الرباني يعني إهمال جهود العلماء السابقين، وانما كان يعني إخضاعها جميعًا للنقد والتمحيص، وعدم التسليم بصحتها لمجرد صدورها عن الحاخامات، ولذلك نجد في مؤلفات القرائين مناقشات مطولة لآراء علماء الربانيين، يعرضونها ثم يناقشونها في ضوء النص الكتابي، ويقبلون ما وافق دلالته، ويردون ما خالفه. ويكشف هذا المنهج عن نزعة نقدية واضحة، جعلت من الحوار العلمي أحد سمات الفكر القرائي، كما ترتب على هذا الموقف اتساع دائرة الاجتهاد داخل المدرسة القرائية نفسها، إذ لم ينشأ لديهم نظام تفسيري مغلق، وإنما ظهرت اختلافات بين علمائهم في بعض المسائل العقدية والفقهية، مع اتفاقهم على أصل الاحتكام إلى الكتاب المقدس، ويؤكد ذلك أن المرجعية النهائية لم تكن لأشخاص العلماء، وإنما للنص الإلهي وما يقتضيه من دلالات (قنديل، ١٩٨٤ م ،ص١٧٥)

المبحث الثاني: أثر التأويل الديني في تشكيل الهوية العقدية عند القرائين

المطلب الأول : أثر التأويل في بناء التصور الإلهي

أولًا: أثر التأويل في تقرير عقيدة التوحيد

احتلت عقيدة التوحيد منزلة مركزية في الفكر القرائي، وعدَّها علماء القرائين الأساس الذي تبنى عليه سائر المعتقدات، غير أن تصورهم للتوحيد لم يكن معزولًا عن منهجهم في التأويل، بل جاء نتيجة مباشرة لاعتمادهم على القراءة الحرفية المنضبطة للنصوص الكتابية، مع الاستفادة من الدلالة اللغوية والعقلية في تفسير الآيات التي قد توهم التشبيه أو التعدد، وانطلاقًا من هذا المنهج، أكد علماء القرائين أن الله واحد لا شريك له، وأن جميع نصوص الكتاب المقدس يجب أن تفهم في ضوء هذا الأصل الكلي، بحيث لا يقبل أي تفسير يؤدي إلى الإخلال بوحدانية الله أو كماله، ولذلك سعوا إلى تفسير النصوص التي تسند إلى الله أوصافًا بشرية تفسيرًا ينسجم مع التنزيه، مستندين إلى أن لغة الوحي تستعمل المجاز والكناية والتقريب إلى الأفهام، ولا يلزم من ذلك إثبات المعاني الحسية لله تعالى ، وقد ظهر هذا الاتجاه في مؤلفات يهوذا هداسي وهارون بن إيليا، اللذين أكدا أن جميع الصفات الواردة في الكتاب المقدس ينبغي أن تفهم بما يليق بجلال الله، وأن ظاهر اللفظ إذا أدى إلى التشبيه وجب حمله على ما تحتمله اللغة من المعاني المجازية، تحقيقًا لمقصد التنزيه وصيانةً للعقيدة من التجسيم ، ولم يكن هذا التأويل نابعًا من التأثر بالفلسفة وحدها، وانما استند أيضًا إلى مبدأ قرائي أصيل، وهو أن النصوص المحكمة تفسر النصوص المتشابهة، وأن الأصل في فهم الصفات هو ردها إلى الآيات الدالة على وحدانية الله وكماله، وبذلك أصبح التأويل وسيلة للحفاظ على الاتساق الداخلي للنصوص المقدسة، لا وسيلة للخروج عن ظاهرها بلا دليل(متولي، ٢٠٢٢م، ص٣٧٩)

المطلب الثاني: أثر التأويل في بناء التصور العقدي للنبوة والوحي

أولًا: أثر التأويل في مفهوم النبوة :تعد النبوة من المرتكزات الأساسية في العقيدة القرائية، إذ تمثل الوسيلة التي اصطفى الله بها أنبياءه لتبليغ شريعته وهداية بني إسرائيل. غير أن تصور القرائين للنبوة لم يكن منفصلًا عن منهجهم في التأويل، بل تشكل في ضوء اعتمادهم على التوراة المكتوبة بوصفها المصدر الأعلى للعقيدة، ورفضهم إضفاء صفة القداسة على التقاليد الشفوية. ولذلك انطلقوا من أن وظيفة النبي تقتصر على تبليغ الوحي الإلهي وبيان أحكامه، وأن هذه الوظيفة انتهت بانتهاء عصر الأنبياء، فلا يثبت بعدهم مصدر جديد للوحي أو سلطة دينية معصومة (محمد،٢٠١٦ ، ص ٣٦)

ثانيًا: أثر التأويل في مفهوم الوحي :يعد مفهوم الوحي من أكثر القضايا التي تأثرت بالمنهج التأويلي عند القرائين، إذ انطلقوا من مبدأ أن الوحي الإلهي قد اكتمل بما أنزله الله تعالى على موسى والأنبياء، وأن هذا الوحي محفوظ في أسفار الكتاب المقدس، ولا يمتد إلى ما أُلحق به من شروح أو تقاليد دينية لاحقة. وقد

تأسس هذا الفهم على القراءة المباشرة للنصوص الكتابية، التي لم يجد القراؤون فيها ما يدل على وجود وحي ثانٍ موازٍ للتوراة المكتوبة، الأمر الذي دفعهم إلى رفض الاعتقاد بقدسية التوراة الشفوية أو مساواتها بالنص الإلهي (العيد، ٢٠٠٣ ، ص ٢٢) وجاء في سفر التكوين : بَعْدَ هَذِهِ الأُمُورِ صَارَ كَلاَمُ الرَّبِّ إِلَى أَبْرَامَ فِي الرُّؤْيَا قَائِلًا: «لاَ تَخَفْ يَا أَبْرَامُ. أَنَا تُرْسٌ لَكَ. أَجْرُكَ كَثِيرٌ جِدًّا»(سفر التكوين ١٥:١)

ثالثًا: التأويل والاستقلال عن اليهودية الربانية:لم يكن استقلال القرائين عن اليهودية الربانية وليد عوامل اجتماعية أو سياسية فحسب، وإنما كان ثمرة مباشرة لاختلافهم في منهج تأويل النصوص الدينية، فقد انطلق القراؤون من مبدأ أن التوراة المكتوبة هي المرجع الإلهي الوحيد الملزم، وأن جميع التفسيرات والاجتهادات يجب أن تعرض عليها، وهو ما أدى إلى رفض الاحتجاج بالمشناة والتلمود بوصفهما مصدرين للتشريع والعقيدة، ومن هنا أصبح التأويل العامل الحاسم في إعادة تشكيل حدود الجماعة الدينية، إذ رسم الفاصل بين من يلتزم بالنص الإلهي، ومن يجعل للتقاليد البشرية سلطة موازية له (الهواري، ص٢٦)

رابعًا: أثر التأويل في بناء السلطة الدينية عند القرائين:يعد مفهوم السلطة الدينية من أبرز المجالات التي ترك فيها المنهج التأويلي أثرًا واضحًا في الفكر القرائي؛ إذ أدى اختلافهم في تفسير النصوص المقدسة إلى إعادة صياغة مفهوم المرجعية الدينية، وتحديد الجهة التي تمتلك حق تفسير الوحي واستنباط الأحكام، فبينما أقامت اليهودية الربانية سلطتها العلمية على التوراة الشفوية وما تفرع عنها من المشناة والتلمود، رفض القراؤون منح هذه المؤلفات صفة الإلزام، وعدّوا أن السلطة الدينية لا تستمد مشروعيتها إلا من موافقتها للنصوص الإلهية (عبده قاسم ، التأثير الإسلامي على الفكر الديني اليهودي، فرقة القرائين، مجلة العربي، العدد ٦١٤: ٢٤، الكويت، ٢٠١٠م،ص ٢٤.)

المبحث الثالث: التقويم العقدي لمنهج التأويل عند القرائين في ضوء العقيدة الإسلامية

المطلب الأول: تقويم مصادر التلقي عند القرائين

أولًا: حصر الوحي في التوراة المكتوبة

يقوم البناء العقدي للقرائين على أصلٍ محوري يتمثل في قصر الوحي الإلهي على التوراة المكتوبة، ورفض الاعتقاد بوجود مصدر تشريعي ملزم خارجها، وقد كان لهذا الأصل أثر بالغ في تشكيل منهجهم التأويلي، إذ أصبحت جميع القضايا العقدية والتشريعية تُفسر في ضوء النص المكتوب وحده، مع استبعاد التقاليد الشفوية من دائرة الاحتجاج، ومن المنظور الإسلامي، فإن مبدأ تعظيم النص الإلهي والاحتكام إليه أصلٌ مقرر في العقيدة الإسلامية، إلا أن الإسلام لا يحصر الوحي في الكتاب المنزل، بل يقرر أن الوحي نوعان :الوحي المتلو، وهو القرآن الكريم، والوحي غير المتلو، وهو السنة النبوية الصحيحة، استنادًا إلى قوله تعالى:

(وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى) (سورة النجم: ٣–٤) ، وقوله سبحانه: **(وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا)**(سورة الحشر: ٧)

يتفق المنهج القرائي مع الإسلام في رفض منح العصمة للاجتهادات البشرية، وفي جعل الوحي المرجعية العليا للعقيدة، غير أن الاختلاف الجوهري يتمثل في تحديد مفهوم الوحي ذاته؛ فالقراؤون يقصرونه على التوراة المكتوبة، في حين يجعل الإسلام القرآن الكريم والسنة الصحيحة مصدرين متكاملين للوحي، بحيث لا يستغني أحدهما عن الآخر في فهم الدين، فإن الاقتصار على مصدر واحد للتلقي يؤدي إلى تضييق دائرة البيان التشريعي والعقدي، بينما يقوم المنهج الإسلامي على تكامل النصوص، وربط المجمل بالمبين، والعام بالخاص، والمطلق بالمقيد، وهو ما يحقق شمولية الفهم واتساق البناء العقدي، وتدل هاتان الآيتان على أن السنة النبوية تمثل مصدرًا للوحي، وأن حجيتها ليست نابعة من كونها اجتهادًا بشريًا، بل من كونها بيانًا للوحي المنزل، وهو ما يميز المنهج الإسلامي عن المنهج القرائي.

المطلب الثاني: التقويم العقدي للتصور الإلهي عند القرائين

أولًا: تقويم مفهوم التوحيد

يجمع القراؤون على أن الله تعالى واحدٌ لا شريك له، وأنه المتصف بالكمال المطلق، والمنزَّه عن الشبيه والمثيل، وقد جعلوا هذا الأصل أساسًا لبناء منظومتهم العقدية، ووجَّهوا منهجهم التأويلي نحو المحافظة على هذا المبدأ، ومن خلال الرجوع إلى مؤلفاتهم، يظهر حرصهم على نفي كل ما يوهم تعدد الآلهة أو

No 4A العدد4A
2026 آب Aug 2026
مجلة ساوة للدراسات الانسانية
Sawah Journal of Humanities
E-ISSN 3106 - 8324 P-ISSN 3106 - 8316
مجلة محكمة تصدر عن
جامعة ساوة الاهلية

حلول الذات الإلهية في المخلوقات، وهو ما يلتقي مع أصل التوحيد الذي جاءت به الرسالات السماوية، ومن المنظور الإسلامي، فإن الإيمان بوحدانية الله تعالى هو أصل الأصول، وقد قرره القرآن الكريم في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: **(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ)**(سورة الإخلاص: ١–٤) ، وقوله سبحانه: **(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)**(سورة الشورى: ١١)

وتدل هذه النصوص على أن التوحيد في الإسلام لا يقتصر على الإقرار بوحدانية الله، بل يشمل توحيده في ربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته، مع تنزيهه عن مشابهة خلقه، وإثبات ما أثبته لنفسه من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل(الطبري، ٢٠٠١ م ٧٢٧/٢٤؛ ابن تيمية ، ١٩٨٠م، ص١٣)

يتفق القراؤون مع الإسلام في أصل الإيمان بإله واحد، وفي تنزيهه عن الشريك والمثيل، كما يرفضون الاتجاهات التي تفضي إلى التجسيم أو تعدد الآلهة. وهذا يمثل جانبًا من جوانب الاتفاق العقدي بين الجانبين، إلا أن مفهوم التوحيد في العقيدة الإسلامية أوسع نطاقًا؛ إذ يقوم على شمولية العبادة لله وحده، وإفرادِه بالطاعة والتشريع والدعاء والخضوع، فضلًا عن الإيمان بأسمائه وصفاته كما وردت في الوحي.

أما التوحيد عند القرائين فقد جاء مرتبطًا أساسًا بإثبات وحدانية الله ونفي الشرك، دون أن يتطور إلى بناءٍ عقدي متكامل كالذي قررته العقيدة الإسلامية في أبواب التوحيد المختلفة.

ثانيًا: تقويم تأويل الصفات الإلهية

حرص القراؤون على تنزيه الله تعالى، ففسروا كثيرًا من النصوص التي قد يُفهم منها التشبيه تفسيرًا مجازيًا، وعدّوا أن حملها على ظاهرها يؤدي إلى تشبيه الخالق بالمخلوق. وقد استندوا في ذلك إلى قواعد لغوية وعقلية، وعدُّوا أن لغة الكتاب المقدس تستعمل كثيرًا من الألفاظ على سبيل المجاز والتمثيل، ولا شك أن تنزيه الله تعالى أصلٌ مقرر في الإسلام، غير أن منهج أهل السنة والجماعة يقوم على الجمع بين الإثبات والتنزيه؛ فيثبتون لله ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، وينزهونه عن مشابهة المخلوقات من غير تمثيل ولا تكييف، قال الإمام الطحاوي في العقيدة الطحاوية : "ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر"(ابن أبي العز، ١٩٨٨ م ،ص١٨٨)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية :" مذهب سلف الأمة وأئمتها إثبات ما وصف الله به نفسه، من غير تكييف ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل"(بن تيمية، ٢٠٠٤ م ، ١٢٦/٢)

يحسب للقرائين حرصهم على تنزيه الله تعالى، ورفضهم الفهم الذي يفضي إلى التجسيم، إلا أن التوسع في التأويل العقلي قد يؤدي أحيانًا إلى صرف بعض النصوص عن ظاهرها دون وجود قرينةٍ قاطعة تستوجب ذلك، والمنهج الإسلامي يوازن بين دلالة النصوص ومقتضيات التنزيه، فلا يُثبت ما يقتضي التشبيه، ولا يُنكر ما أثبته الله لنفسه.

المطلب الثالث: التقييم النهائي لأثر التأويل الديني في تشكيل الهوية العقدية عند القرائين

أولًا: التأويل بوصفه أساسًا في بناء الهوية العقدية

يتضح من خلال دراسة الفكر القرائي أن التأويل لم يكن مجرد أداة لتفسير النصوص الدينية، وإنما مثّل الإطار المنهجي الذي أعاد تشكيل البنية العقدية للجماعة القرائية، فقد أدى اعتماد القرائين على التوراة المكتوبة، ورفضهم التوراة الشفوية، إلى إعادة تحديد مصادر التلقي، وإعادة بناء مفاهيم الوحي والنبوة والسلطة الدينية، وهو ما انعكس بصورة مباشرة على ملامح هويتهم العقدية، ولم يكن هذا التحول نتيجة عوامل اجتماعية أو سياسية فحسب، وانما جاء نتيجة لاختيارات منهجية في فهم النصوص المقدسة، حيث اعتمد القراؤون القراءة اللغوية المباشرة، والاستدلال العقلي، ورفض التقليد الملزم، مما أفضى إلى تكوين منظومة فكرية متميزة عن اليهودية الربانية، كما يمكن القول إن التأويل كان العامل المؤسس للهوية العقدية القرائية؛ لأنه لم يقتصر على تفسير النصوص، وانما أسهم في تحديد المرجعية الدينية، ورسم حدود الجماعة، وصياغة معايير الانتماء إليها(حسن ، ص١٠٦)

ثانيًا: الآثار العقدية المترتبة على المنهج التأويلي: أظهر البحث أن المنهج التأويلي عند القرائين ترتبت عليه مجموعة من النتائج العقدية، من أبرزها:

١.حصر المرجعية الدينية في التوراة المكتوبة، واستبعاد التوراة الشفوية من دائرة الوحي الملزم .

٢.إعادة تعريف مفهوم السلطة الدينية، بحيث أصبحت قائمة على الاستدلال بالنصوص، لا على سلطة المؤسسة الحاخامية .
٣.إبراز دور العقل في فهم النصوص، مع الالتزام – في الجملة – بالدلالة اللغوية للنص .
٤.تكوين هوية عقدية مستقلة عن اليهودية الربانية، لها أصولها المعرفية ومنهجها التأويلي الخاص .
٥.ظهور اختلافات داخل المدرسة القرائية نفسها في بعض المسائل، نتيجة غياب مرجعية تفسيرية ملزمة بعد رفض التوراة الشفوية .
وتكشف هذه النتائج أن التأويل لم يكن عنصرًا ثانويًا في الفكر القرائي، وانما كان المحرك الرئيس الذي أعاد تشكيل البناء العقدي للجماعة(متولي، ٢٠٢٢م، ص٣٧٩)
ثالثًا: التقويم في ضوء العقيدة الإسلامية: من منظور العقيدة الإسلامية، يمكن تسجيل عدد من الملاحظات العلمية على المنهج التأويلي للقرائين:
- يحسب لهم تعظيمهم للوحي المكتوب، ورفضهم منح العصمة للاجتهادات البشرية، وحرصهم على تنزيه الله تعالى عن مشابهة المخلوقات .
- غير أن حصرهم الوحي في التوراة المكتوبة أدى إلى تضييق مفهوم الوحي، وإغفال المصدر الذي يقررونه داخل اليهودية نفسها، وهو التوراة الشفوية، بينما يقرر الإسلام أن الوحي يتمثل في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، ولكل منهما وظيفته في بيان الدين .
- كما أن التوسع في التأويل العقلي لبعض النصوص قد يؤدي إلى تجاوز حدود الدلالة الظاهرة للنص إذا لم يضبط بقواعد علمية دقيقة، وهو ما يقتضي الموازنة بين مقتضيات العقل ودلالات النص، على النحو الذي قرره علماء العقيدة الإسلامية .
- وتبين الدراسة أن سلامة النتائج العقدية ترتبط بسلامة المنهج التأويلي ومصادر التلقي؛ فكلما كانت مصادر المعرفة أكثر ثباتًا، وكانت قواعد التأويل أكثر انضباطًا، كان البناء العقدي أكثر اتساقًا واستقرارًا .

الخاتمة: الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.
سعى هذا البحث إلى دراسة المنهج التأويلي عند القرائين، والكشف عن دوره في بناء منظومتهم العقدية، وبيان أثره في تكوين هويتهم الدينية المتميزة داخل الفكر اليهودي. وقد انطلق البحث من فرضية مؤداها أن الهوية العقدية لا تنشأ بمعزل عن المنهج التأويلي، وإنما تتشكل في ضوء قواعد تفسير النصوص ومصادر التلقي التي تعتمدها الجماعة الدينية. وقد أظهرت الدراسة أن القرائين أسسوا مشروعهم الديني على مبدأ الاحتكام إلى التوراة المكتوبة بوصفها المصدر الأعلى للعقيدة والتشريع، ورفضوا التوراة الشفوية وما تضمنته من تفاسير واجتهادات حاخامية، وهو ما أدى إلى إعادة بناء مفهوم السلطة الدينية، وإعادة صياغة العلاقة بين النص والمفسر، وإبراز دور العقل واللغة في فهم النصوص الدينية. ولم يكن هذا التحول مجرد اختلاف في الوسائل التفسيرية، بل ترتب عليه نشوء منظومة عقدية متكاملة، انعكست آثارها على مفهوم الإله، والنبوة، والوحي، ومصادر التلقي، والانتماء الديني.كما بينت الدراسة أن التأويل الديني كان العامل الأكثر تأثيرًا في رسم معالم الهوية العقدية للقرائين، إذ أسهم في تمييزهم عن اليهودية الربانية، ومنحهم شخصية فكرية مستقلة، تقوم على رفض التقليد الملزم، وإعلاء مكانة النص المكتوب، والاعتماد على الدلالة اللغوية والاستدلال العقلي في فهم النصوص. وفي المقابل، كشفت الدراسة عن أن هذا المنهج، على الرغم من نجاحه في التحرر من سلطة المؤسسة الحاخامية، أفضى إلى ظهور تباينات داخل المدرسة القرائية نفسها، نتيجة غياب مرجعية تفسيرية ملزمة تحسم مواطن الاختلاف في فهم النصوص.ومن خلال التقويم النقدي في ضوء العقيدة الإسلامية، تبين أن الإسلام يلتقي مع القرائين في تعظيم الوحي، ورفض العصمة لغير الأنبياء، وضرورة الاحتكام إلى النصوص الإلهية، إلا أنه يختلف معهم في طبيعة مصادر التلقي، وحدود التأويل، ومنهج التعامل مع النصوص الشرعية؛ إذ يقوم المنهج الإسلامي على التكامل بين القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، مع اعتماد قواعد علمية منضبطة في تفسير النصوص، بما يحفظ التوازن بين دلالة النص وصحيح العقل، ويمنع الانحراف في الفهم أو الإفراط في التأويل.

ويخلص البحث إلى أن التأويل الديني ليس مجرد وسيلة لفهم النصوص، بل يمثل عنصرًا حاسمًا في بناء التصورات العقدية وصياغة الهوية الدينية، وأن اختلاف المناهج التأويلية يؤدي بالضرورة إلى اختلاف البنى الفكرية والعقدية للجماعات الدينية. ومن ثم، فإن دراسة التأويل عند القرائين لا تقتصر أهميتها على التعرف إلى أحد الاتجاهات اليهودية، وإنما تسهم في فهم العلاقة العميقة بين النص، والتأويل، والهوية، وتبرز أهمية المنهج في توجيه الفكر الديني وتحديد ملامحه.والله ولي التوفيق، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

النتائج:

١. أن التأويل الديني شكّل الركيزة الأساسية التي قامت عليها المدرسة القرائية، ولم يكن مجرد وسيلة لتفسير النصوص، بل أصبح منهجًا معرفيًا أسهم في بناء رؤيتها العقدية.

٢. أن اعتماد القرائين على التوراة المكتوبة بوصفها المصدر الوحيد الملزم للعقيدة والتشريع، ورفضهم التوراة الشفوية، كان العامل الرئيس في تمايزهم عن اليهودية الربانية وفي تكوين هويتهم العقدية المستقلة.

٣. أن المنهج التأويلي عند القرائين يقوم على تغليب ظاهر النص مع الإفادة من التحليل اللغوي والاستدلال العقلي، مع رفض سلطة التقليد الحاخامي بوصفه مصدرًا ملزمًا للتلقي.

٤. أن منهج التأويل القرائي انعكس بصورة مباشرة على التصورات العقدية المتعلقة بمفهوم الإله، والصفات الإلهية، والنبوة، والوحي، ومصادر التلقي، مما أسهم في بناء منظومة فكرية متميزة داخل اليهودية.

٥. أن رفض القرائين للتوراة الشفوية أدى إلى إعادة تعريف مفهوم السلطة الدينية، وجعل المرجعية العليا للنص المكتوب، مع توسيع مساحة الاجتهاد الفردي في تفسير النصوص.

٦. أن غياب مرجعية تفسيرية ملزمة داخل المدرسة القرائية أدى إلى ظهور تباينات في فهم بعض النصوص واستنباط الأحكام، وهو ما يعكس أثر المنهج التأويلي في تنوع الاجتهادات داخل الجماعة نفسها.

٧. وجود جوانب اتفاق بين المنهج القرائي والمنهج الإسلامي، من أبرزها تعظيم الوحي، ورفض إضفاء العصمة على الاجتهادات البشرية، والدعوة إلى الاحتكام إلى النص الإلهي.

٨. وجود اختلافات جوهرية بين المنهجين، تتمثل في مفهوم مصادر التلقي، وحدود التأويل، وحجية السنة النبوية في الإسلام، وضوابط الجمع بين النص والعقل في بناء العقيدة.

٩. أن المنهج الإسلامي يتميز بتكامله في مصادر التلقي، واعتماده قواعد منضبطة في تفسير النصوص، بما يحقق التوازن بين المحافظة على دلالة الوحي والاستفادة من دور العقل في الفهم والاستنباط.

١٠. أن الهوية العقدية لأي جماعة دينية ترتبط ارتباطًا وثيقًا بمنهجها في التأويل وبمصادرها في التلقي، وأن اختلاف المنهج التأويلي يؤدي إلى اختلاف البنية العقدية والمرجعية الفكرية لتلك الجماعة.

١١. أهمية الرجوع إلى المصادر القرائية الأصلية في دراسة الفكر القرائي، لما توفره من تصور أكثر دقة عن أصوله العقدية ومنهجه التأويلي، بعيدًا عن الاكتفاء بالنقول الثانوية.

١٢. أن دراسة التأويل الديني عند القرائين تمثل مدخلًا مهمًا لفهم تطور الفرق اليهودية، كما تسهم في إثراء الدراسات المقارنة بين الأديان، ولا سيما في مجال العلاقة بين التأويل وبناء الهوية العقدية.

المصادر

١. أبو زهرة، محمد. (د.ت.). تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية. دار الفكر العربي.

٢. أحمد، محمد خليفة حسن. (١٩٩٨). تاريخ الديانة اليهودية (ط١). دار قباء للطباعة والنشر.

٣. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. (١٩٨٠). مقدمة في أصول التفسير. دار مكتبة الحياة.

٤. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. (٢٠٠٤). مجموع الفتاوى. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

٥. الطبري، محمد بن جرير. (٢٠٠١). جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١). دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان.

٦. بوترفاس، رابح. (٢٠٢١). التلمود في الفكر اليهودي القرائي: يعقوب أبو يوسف القرقساني أنموذجًا. مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، ١٣(٣).
٧. حسن، جعفر هادي. (١٩٩٤). تاريخ اليهود القرائين منذ ظهورهم حتى العصر الحاضر. دار الزهراء للنشر.
٨. الخواري، محمد. (د.ت.). الاختلاف بين القرائيين والربانيين في ضوء أوراق الجنيزا: قراءة في مخطوطة بودليان بأكسفورد (NS.Heb.f.18, fols.1–33a). كلية الآداب، جامعة عين شمس.
٩. رول، وليام هاريس. (١٨٧٠). تاريخ اليهود القرائين.
١٠. سيمي، إيمانويلا تريفيزان. (١٩٩٢). القراؤون: يهودية أخرى (سيمون كاوديرز، مترجم). ألبين ميشيل.
١١. شراينر، مارتن. (١٨٩٥). القرائين. في دائرة المعارف اليهودية: الكلام في الأدب اليهودي.
١٢. الصوراني، غازي. (٢٠١٩). المعتزلة أو فرسان العقلانية في الحضارة الإسلامية. الحوار المتمدن، (٦١٤٧).
١٣. عبد الحميد، عرفان. (د.ت.). اليهودية: عرض تاريخي والحركات الحديثة في اليهودية.
١٤. عبد الرزاق أحمد قنديل. (١٩٨٤). الأثر الإسلامي في الفكر الديني اليهودي. دار التراث، بالاشتراك مع مركز بحوث الشرق الأوسط.
١٥. عبد العال، حمدي. (١٩٨٩). الملة والنحلة في اليهودية والمسيحية والإسلام (ط١). دار القلم.
١٦. عبده قاسم. (٢٠١٠). التأثير الإسلامي على الفكر الديني اليهودي: فرقة القرائين. مجلة العربي، (٦١٤).
١٧. العبد، سليمان بن قاسم. (٢٠٠٣). النبوة والأنبياء عند اليهود في العهد القديم. مركز بحوث كلية التربية، جامعة الملك سعود، (٢٠٢).
١٨. فايدا، جورج. (١٩٧٢). مقدمة للفكر اليهودي في العصر الوسيط. مؤسسة دار المعارف.
١٩. القواسمة، أحمد حسن. (٢٠٠٩). موسوعة الفرق في الأديان السماوية الثلاثة. دار الحامد للنشر والتوزيع.
٢٠. محمد، أنمار أحمد. (٢٠١٦). النبوة في الديانة اليهودية: مفهومها وطبيعتها. مجلة جامعة السلطان محمد الفاتح، ١٣(٤٥).
٢١. محمد، جلاء محمد إدريس. (١٩٩٣). التأثير الإسلامي في الفكر اليهودي. مكتبة مدبولي.
٢٢. محمد عبد اللطيف. (١٩٨٠). القراؤون: تاريخهم، مذاهبهم وآدابهم. مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، (٢٨).
٢٣. متولي، محمد سالم الشحات. (٢٠٢٢). الأثر الاعتزالي في علم الكلام اليهودي: يوسف البصير أنموذجًا. مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين، جامعة الأزهر، (٩).
٢٤. همو، عبد المجيد. (٢٠٠٤). الفرق والمذاهب اليهودية منذ البدايات (ط٢). الأوائل للنشر والتوزيع.